الخنساء

(مسرحية تاريخية أدبية)

محمد الصالح رمضان

الخنساء

مسرحية تاريخية أدبية

دار الحضارة

ص ب 04 (A) بئر التوتة -الجزائر 16045

هاتف/فاكس: 46. 70. 41. (021)

البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com

ردمك: 978-9961-767-64-1

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى ابنتي الصغرى (خنساء) أقدم هذه القصة الطريفة الشيقة بمناسبة فوزها في مرحلة التعليم الابتدائي وانتقالها للمتوسط 1973 عساها تجد فيها ما تحب من المتعة والتسلية في العطلة الصيفية.

إلى كل ثكلى وأيم من نساء شهدائنا الأبرار في فلسطين والجزائر وفي كل أرض عربية وإسلامية اللائي سقط رجالهن في ميدان الشرف دفاعا عن عزتنا الوطنية وكرامتنا الانسانية، وإلى كل امرأة من نساء معطوبي الحرب التحريرية في كل بلد، من مجاهدينا الأبطال الذين كلّلوا كفاحهم بالنصر المؤزر، وأذاقوا العدو وبال الهزيمة في غير معركة.

إلى هؤلاء وأولئك أقدم هذا المثل الرائع من أمثلة الجهاد وتضحية المرأة العربية في صدر الإسلام، التي أشربت روحها بالتربية الإسلامية الحقة، بعدما تشبّعت نفسها بالروح القومية الأصيلة، لتكون لهن سلوى طيبة، وقدوة حسنة يقتدين بها في الصبر والثبات والاحتساب لله وللوطن.

المؤلف

مقدمـة:

كنـا في المـدارس الحـرة في العهـد الاستعمـاري الفرنـسـي، كـثيرا مانلجأ إلى إقامة حفلات للترفيه والتوعية للتلاميذ وأوليائهم ومن يهمـهم الأمـر، أو لسد عجز مالي تعاني منه ميزانيـة مدارسـنا ، لأن معلمـي هـذه المدارس الشعبية لـم يكونوا مـوظفين رسميين لـدى السلطات الحاكمـة يتقاضون مرتبات قارة محترمة، بل كانوا يأخذون رواتبهم المتواضعـة من أجور تعلم التلاميـذ التـي لم تكن دائما كافية، لـذلك كـان المشرفون على هذه المدارس يضطرون إلى تنظيم احتفالات في موسم من المواسـم أو في آخر السنة الدراسية، يحضرهـا الجمهور مقابل أجر معلوم.

وهذه الحفلات هي في الحق وفي الغالـب عبـارة عـن نـشاطات ثقافيـة يتمرس فيها التلاميذ على إلقاء الخطب والقصائد، والتمرن على الحـوار والنقاش، وإنشاد الأناشيد، والتدريب على التمثيل المسرحي، وغـير ذلـك من أنواع النشـاط الثقافي المدرسي، ولو جمع هذا النشاط واختير الصالح منه وطبع لكان ثروة تاريخية وأدبية من تراثنا، ولم يطبع منه، في علمي سـوى روايـة المولـد النبـوي للمـؤرخ عبـد الـرحمن الجيلالـي، وروايـة بـلال الحبـشي، ونـشيد الوليـد الـسعيد، للـشاعر محمـد العيـد، والأناشـيد المدرسية للأديب محمد العابد الجلالـي، والناشئة المهـاجرة لـي وكـذلك ألحان الفتوة، وهـي أمثلة من أدب الأطفال عندنا.

وكان من التمثيليات التي وضعتها لتلاميذ هذه المدارس زيادة عن الناشئة المهاجر: حليمة السعدية، والوليد السعيد، والخنساء، وغيرها من التمثيليات والمسرحيات والمحاورات الاجتماعية والأخلاقية والتاريخية- أما(الخنساء) فقد كنت وضعتها في أواخر الأربعينات لتلاميذ القسم التكميلي بمدرسة دار الحديث بتلمسان، ومثّلها طلاب وطالبات هذه المدرسة التي تتوفر على مسرح صغير في قاعة المحاضرات بها، مثّلت ثلاث مرات في أسبوع واحد: مرتين للرجال ومرة للنساء، ونالت إقبالا واستحسانا بالغين، وفي أواخر الخمسينات أخذها مني أحد الفضلاء، ومثلها بفرقته الناشئة في المسرح الوطني بالعاصمة، وأذاعها في إذاعات: الجزائر وباريس ولندن، زاعما أنها كانت قصة لمحمد الصالح رمضان ثم وضعها هو مسرحية، والواقع أنها كانت مسرحية من أول وضعها كما أسلفت، وما يزال كثير ممن مثلوها في تلمسان في الأربعينات أحياء يرزقون، وأنا لم أكن من كتاب القصة والرواية كما يعرفني الكثير.

ولم أفكر في طبعها إلا أخيرا حين عزمت على طبع آثاري الأدبية المخطوطة، وها أنا ذا أقدمها اليوم كما وضعتها لأول مرة، دون تبديل أو تغيير والله المستعان.

المؤلف

القبة الجزائر يوم الأحد 12 شعبان 1404 هـ

الموافق لـ 13 ماي 1984م

الخنساء

مسرحية في ثلاثة فصول وأحد عشر مشهدا

الفصل الأول:

- الخنساء في الجاهلية

المشاهد

1- الخنساء في بيتها مع زوجها الأول
2- الخنساء في سوق عكاظ
3- الخنساء في مناحة من مناحات الجاهلية

الفصل الثاني:

- الخنساء في الإسلام

المشاهد

1- في الحرم المكي حول الكعبة
2- في بيت عائشة أم المؤمنين
3- في مجلس الخليفة عمر بن الخطاب

الفصل الثالث:

- تضحيتها في القادسية

المشاهد

1- في بيتها مع أبنائها
2- الاستنفار للحرب
3- الزحف إلى العدو
4- أخبار الواجهة
5- رجوع الجند منتصرين

الفصل الأول

الخنساء في الجاهلية

بعد موت أخيها صخر

شخصيات هذا الفصل

المشهد الأول

- الخنساء: في بيتها
- الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الشريد
- الابن: أبو شجرة ابنها لزوجها الأول عبد العزى
- الزوج: عبد العزى زوج الخنساء الأول
- الأصوات: صوت حمامة وصوت ديك.

المشهد الثاني

- في سوق عكاظ: (القسم الأدبي من السوق)
- قس بن ساعدة: (شيخ كبير من حكماء العرب وخطبائها)
- النابغة الذبياني: الحكم الذي يحتكم إليه الخطباء والشعراء في السوق.
- أحد الحاضرين: بدوي لم يسبق له حضور هذه المشاهد الأدبية.
- رفيقه: من نظارة السوق المعتادين حضور هذه المشاهد.
- من شعراء السوق: الأعشى، حسان، الخنساء.
- النكرات المسرحية: نظارة كثيرون

المشهد الثالث:

- في مناحة من مناحات الجاهلية
- من شواعر المناحة: فاطمة، السلكة، فارعة، أميمة، الخنساء، هند.
- النكرات: نادبات كثيرات

المشهد الأول

((الخنساء في بيتها تبكي وتنوح على أخويها : صخر ومعاوية))

الخنساء : –

يا عين فيضي بدمع منك مغزار
وابكي لصخر بفيض منك مدرار

فقد سمعت ولم أبهج به خبرا
محدثا قام ينمي رجع أخبار

قال: ابن أمك ثاو بالضريح وقد
سوَّوْا عليه بألواح وأحجار

فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل
منَّاع ضيم وطلاَّب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا غير مهتضم
مركبا في نصاب غير خوار

مثل السنان تضيء الليل صورتـه

جلْد المـريــرة حـر وابـن أحــرار

أبكـي فـتـى الحـي نالـته منـيتـه

وكــل نفـس إلـى وقت بمــقــدار

((وتبكي ثم تبكي ... وتقوم لبعض شأنـها وبينمـا هي داخلـة أوخارجة تسمع نوح حمام محزن فيذكرها شجوها ويهيج كامن حزنـها)) .

الحمام :

- أم م... أم م... أم م...

الخنساء :

يا عين جودي بدمع منــك مـهـراق

إذا هدا النــاس أو هــمّـوا باطـراق

إني تـــذكــرني صخــرا سجـعت

على الغصــون هتُـوف ذات اطـواق

وكل عبرى تبيـت الليـل مـعْـولِـة

تبكي لكـل جريح القلب مشتـاق

لا تبعــدنَّ فـإن المـوت مخـتـــرم

كل البرية غيـر الواحــد البــاقـي

(يدخل ابنها أبو شجرة[1])

الابـن :

- ما هذا البكاء الذي لا ينقطع يا أماه، أما لهذا الحزن من آخر؟.

الخنساء : (وهي تكفكف دمعها) .

تذكرت صخرا إذ تغنت حمامـة
هتوف على غصن من الأيك تسجـع
فظلت لها أبكـي بعيـن حـزينـة
وقلبـي ممـا ذكّـرتـني مـوجـع

الحمامة : (تسجع)

- أم م...أم م... أم م... (وتستمر الخنساء فيخرج الابـن)

1. لا يذكر الرواة من أبناء الخنساء لزوجها الأول العزي إلا أبا شجرة هذا الذي قالوا عنه أنه رؤي محاربا في يوم الحوزة الثاني عام 613 للميلاد إلى جانب خاله صخر؟ وهو الذي اشتهر في حروب الردة بمحاربته لخالد بن الوليد(ر.ض) حيث يقول من أبيات له:

فرويت رمحي من كتيبة خالد ●● وإني لأرجو بعد أن أعمّرا

-ثم أسلم وفي خلافة عمر بن الخطاب (ر.ض) جاء يطلب الصدقة فعرفه عمر وعلاه بالدرة وهم به ففر هاربا؟ وقال في ذلك من جملة ما قال:

لما رهبت أبا حفص وشرطته والشيخ يفزع أحيانا فينحمق.

الخنساء :-

تُذكّرني صخرا و قد حال دونه

صفيح و أحجارو بيداء بلقع

فبكّي بعين ما يجفُّ سجومها

همولٍ ترى آماقها الدهر تدمع

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه

وليس لمن قد غاله الدهر مرجع

فإن كان صخر الجودِ أصبح ثاويا

فقد كان في الدنيا يضر وينفع

((تبكي ثم تبكي .. وتقوم لبعض شأنها وبينما هي ذاهبة أوآتية يرتفع صوت ديك مدويا في أرجاء الدار)) .

الديك :

- كو... ككو... كو... كو... ككو... كو.

الخنساء : -

ألا أيها الديك المنادي بسحرة

هلم كذا أخبرك ما قد بدا ليا

بـدا لـي أنــي قــد رزئـت بفتــيـــة

بقيـة قوم أورثـونـي المبـاكـيـا

فلـما سمعـت النـائحـات ينحـنـــه

تعزيـت واستيقنـت أن لا أخـا ليـا

ومالـي لا أبـكـي علـى مـن لـو أنّـه

تقـدم يــومــي قبـلـه لبـكـي لـيـا

وإن تمس في قيس وزيـد وعـامــر

وغسان لم تسمع له الدهر لاحيا

(وتفيض عيناها بالدموع؟ وتجهش بالبكاء؟ ويدخل زوجها عبد العزى حاملا فأسا أو مسحاة أو غيرهما من أدوات العمل؟ يضعها جانبا؟ ويقول والتعب باد عليه) .

الـزوج :

- رباه. رباه. ما هذا النحيب الذي لا ينقطع، ما هـذه المعيشة النكدة؟ (ويتوجه نحوها) إن الحيـاة معك جحيـم لا يطـاق؟ اللهم عجل لنا بالفراق.

(ستـار)

المشهد الثاني

(في سوق عكاظ: رجال كثيرون وبعض النساء يتبارون القول ويحتكمون إلى شيخ كبير يعلوه الوقار والمهابة في قبة حمراء ضربت له: هو النابغة الذبياني).

(يتقدم للمنصة شيخ كبير محدودب الظهر يتوكأ على عصاه ويرتجل في بطء وأناة):

- أيها الناس اسمعوا وعوا، فإذا سمعتم فانتفعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، بحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون ولا يعودون، أرضوا بالمقام فأقاموا؟. أم تركوا فناموا؟ وإله قسٍّ ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فتبعه، وويل لمن خالفه أو خادعه، (ثم ينشد):

في الذاهبين الأولين ❖ من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا ❖ للموت ليس لها مصادر

ورأيت قــومـي نحـوهـا ❖ يمضي الأكابر والأصاغر

أيقنــت أنــي لا مـحـا ❖ لة حيث صار القوم صائر

النابغة :

- لافُضَّ فوك ولا برَّ من يجفوك، أنت خطيب العرب وحكيمهم يا قس لولا شذوذ في رأيك وتفكيرك لا يوافقك عليه قومك.

أحد الحاضرين : (لرفيقه) :

- من هذا الشيخ الهرم يا أخي؟

(بينما يتهامس الناس استحسانا للخطيب)

رفيقه :

- هو قس بن سعادة الايادي، وقد عمر طويلا، وهو ما يزال قادرا على الكلام كما رأيت[1]

السائل :

- عجيب والله. إن أمره لغريب، لايفضض الله فاه، ولابر من جفاه.

الأعشى : -

أبلغ يزيد بني شيبان مألُكَة

أبا ثُبَيْت أما تنفكُّ تأتكل

---

1. قس بن ساعدة من المعمرين وقد اختلفوا في سنه، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وعده المؤرخين في عداد الصحابة؟ قال ابن السكن أنه مات قبل البعثة، والثابت أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان حاضرا يوم ألقي قس خطابه هذا في سوق عكاظ قبل البعثة النبوية.

ألستَ منتهيا عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أطّتِ الإبل
كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهي قرنه الوعِل

النابغة : (مستحسنا)

- هيه يا أبا بصير.

الأعشى : -

تغرى بنا رهط مسعود واخوته
يوم اللقاء فتردى ثم تعتزلُ
سائل بني أسد عنا فقد علموا
أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل
واسأل قُشيْرًا وعبد الله كلهم
واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل
أنا نقاتلهم حتى نقتلهم
عند اللقاء فهم جاروا وهم جهلوا
لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا
لنقتلنْ مثله منكم فنمتثل
لا تنتهون ولن ينهى ذوى شطط
كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
حتى يظل عميد القوم مرتفقا
يدفع بالراح عنه نسوة عُجَل
نحن الفوارس يوم الحِنو ضاحية
جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل

قالوا الطراد فـقـلـنا تلك عـادتـنـا

أوتـنـزلــون فـإنــا معـشـر نـــــزل

النابغة :

- إيه صناجة العرب، ما أطرب شعرك؟ وأعمق بحرك؟ أنت أشعر من بالسوق هذا العام.

الرجل : (لرفيقه)

- هذا الشاعر الفحل من هـو؟.

رفيقه :

- هو ميمون بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل؟ يكنَّى أبا بصير ويلقب بالأعشى لسوء بصره.

حسان بن ثابت : -

لنا حاضـــر فعـــم ومـــاض كـأنـــه

شماريخ رضـــوى عـــزة وتكـــرمــا

متى ماتـــزِنَّـــا مـــن مَعـــدٍّ بعصبـــة

وغسان نمنـــع حـــوضـــنا أن يُهـــدمـا

بكل فتى عـــارى الأشاجـــع لاحـــه

قراع الكماة يرشح المسك والدمــا

إذا استدبرتنا الشمس درت متونـنـــا

كأن عروق الجوف ينضحن عندمــا

ولدنا بنــي العنقــاء وابنـي محــرِّق

فأكرم بنا خـالا وأكـرم بنا ابنـمـا

نُسـوِّد ذا الـمــال القليــل إذا بــدت

مروءته فينــا وإن كــان معـــدمـا

وإنا لنقرى الضيف إن جــاء طارقــا

من الشحم ما أمسى صحيحا مسلمـا

وكائن ترى مــن سيـد ذي مــهـامــة

أبوه أبونـا وابــن أخــت ومحــرمـا

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحــى

وأسيافــنـا يقطـرن مـن نجــدة دمـا

ولدْنَا بنـــي العنــقـاء وابنــيْ مـحـرِّق

فأكرم بنا خالا وأكـرم بـنـا ابنـمـا

النابغة :

- أعد هذين البيتين يا حسـان.

حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحـى

وأسيافنا يقطـرن مــن نجــدة دمــا

ولدنا بنـي العنـقــاء وابنـي محــرق

فأكرم بنا خالا وأكـرم بنا ابنمـا

النابغة : (بعد إطراقة خفيفة)

- أعدهما مرة أخرى يا حسان.

حسان : (وهو ينظر إلى النابغة محتارا)

- لنا الجفنات الغر الخ...

النابغة : (وهو يحرك رأسه)

- استمر في إلقائك.

حسان : -

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنـا

وقـائلنـا بالـعـرف إلا تكـلّـمـا

أبى جاهنا عـنـد الملوك وفعـلنـا

وملء جفـان الشّـيـز إلا تهـزُّمـا

فكل معدٍّ قد جزينـا بصنعـه

فبُؤسى ببؤساها و بالنُعـم انعـمـا

النابغة :

- إنـك لـشاعر ياحـسان ولكنـك أضـعفت فخـرك، وأقللـت جودك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

حسان :

- ظلمتني يا عم وأنقصت قيمتي ظلما وعدوانا.

الحاضرون : (يتهامسون فيما بينهم)

- مظلوم... ظالم...الخ...

بعضهم :

- الحق للحكم فقد فخر حسان بمن ولد ولم يفخر بمن ولده.

الخنساء : -

قذى بعينيك أم بالعين عُوَارُ

أم ذَرَّفت إذ خلت من أهلها الدار

كأن دمعي لذكراه إذا خطرت

فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي خناس فما تنفك ماعمرت

لها عليه رنين و هي مفخار

تبكي خناس على صخر وحق لها

إذ رابها الدهر أن الدهر ضرار

وان صخرا لمقدام إذا ركبوا

وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

وإن صخرا لمولانا وسيدنا

وإن صخرا إذا نشتُوا لنحَّار

أغر أبلج تأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

النابغة : (يهز رأسه استحسانا ويطلب إعادة البيت)

- أعيدي البيت يا خناس.

الخنساء : -

أغر أبلج تأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

جلد حميل المحيا كامل ورع

وللحروب غداة الروع مسعار

حمَّال ألوية هبَّاط أودية

شهَّاد أندية للجيش جرار

قد قلت لما رأيت الدهر ليس له

معاتب وحده يُسدي ونيَّار

لم تره جارة يمشي بساحتها

لريبة حين يخلي بيته الجار

وما تراه وما في البيت يأكله

لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرُّدينِّي لم تنفد شبيبته

كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف لحد مقيم قد تضمنه

في رمسه مُقمطِرات وأحجار

ليبكه مُقتِر أفنى حريبته

دهر وحالفه بؤس واقتار

النابغة : (ملوحا بيديه)

- مرحى لك مرحى يا تماضر، واللّه لولا أنَّ أبا بصير هذا (ويشير إلى الأعشى) أنشدني قبلك لقلت أنك أشعر الأنس والجن، ولكنك واللّه أشعر من كل أنثى.

الخنساء :

- ألا تريد أن تقول ومن كل ذكر؟.

النابغة :

- لا ، لا يكون ذلك مع مثل أبي بصير يا خناس.

الخنساء :

- كلا يا شيخ أنا أشعر منه غير أني أنا في واد وهو في واد.

حسان : (يكاد يتميز غيظا يقوم ثائرا)

- أنا- واللّه - أشعر منك ومن أبيك ومن هذه الشمطاء البكّاء يا نابغة بلا نبوغ.

النابغة :

- مهلا يا ابن أخي وعلى رسلك، لا تذهب نفسك حسرات أنت لاتحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خِلتُ أن المنتأى عنك واسع

وأنت ربيـع يُنعـش النــاس سـيْـبُـــه

وسيـف أُعيـرَتْـه الـمنـيـــة قـاطـــع

أبـــى الله إلا عـــدلـــه ووفـــاءه

فلا النُّكر معروف ولا العُرف ضائع

(وزيدي يا خنساء فأسمعيه شيئا من شعرك) .

الخنساء : -

إن الـزمان وما يفـنـى لـه عجــب

أبقـى لنا ذَنَبًا واسْتُؤْصِلِ الـرأس[1]

أبقى لنا كـل مجهول وفجَّعـنـــا

بالحالميـن فهـــم هــام وأرمـــاس

إن الجديدين في طول اختـلافهما

لا يَفسُـدان و لـكن يفسد النـاس

حسـان : (والنابغة ينظر إليه)

- نعم إنها أشعر من كل أنثى كما قلت.

---

1. جاء في كتب الأدب أنه قيل لجرير من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء قيل فيم فضلتك؟. قال بقولها:

إن الزمان وما يفني لـــه عجـــب •• أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس

أبقى لنا كل مجهول وفجعــــنا •• بالحالمين فهـــم هـام وأرمـاس

إن الجديدين في طول اختلافهما •• لا يفسدان ولكن يفســد الناس

الخنساء :

- ومن كل رجل يا حسان لو أنصفت.

النابغة :

- أرأيت يا حسان؟ ألم أقل لك إنك لا تجيد الكلام؟.

حسان :

- أنا - والله - أشعر منكما.

النابغة :

- بماذا فُقتنا يا بن أخي؟ وأنت لا تزال دون هذا الشّأو.

حسان :

- أفوقكما بقولي:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرِّق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

الخنساء : (تنظر إلى حسان بازدراء وسخرية) .

النابغة : (وهو يتأملها)

- أترك الكلام للخنساء تجيبك، أجيبيه يا خنساء لعله يقتنع فيخنس.

الخنساء : (تطرق ، ثم تجيبه بنعم ، وبعد مهلة تتوجه إلى حسان ، وتعيد قوله :)

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دمـــا

- ماذا أقول لك يا حسان؟ لئن كان هـذا الـذي تتطـاول بـه علينا شيء عظيم عندك فأنا لا أوافقك ، بل أفيدك إنه ليس بذي بال وأصارحك بأنك قاصر في هذا الشعر، ضعيف في هذا الفخر.

(وتعيد بيته متأمِّلة) لنا الجفنات الغر... الخ فقد أخطأت في هذا البيت الذي تفخر به أخطاء كثيرة.

النابغة : (متعجبا منها)

- ما هذه الأخطاء التي تزعمين؟

الخنساء : (بتثبت ووقار تجيبه)

- قلت: (الجفنات) وهو جمع قلة لما دون العشرة، وكان الأجدر في مقام الافتخار الاستكثار؟ فلوقلت: - الجفان وهو جمع كثرة لكان أنسب وأصوب وقلت:

(الغر) ولا يقال الغر إلا لبياض الجبهة ، وهو قليل ضيق ولو قلت البيض لكانت الجفان أوسع والمعنى أتم وأعم، وقلت (يلمعن) واللمعان الضوء الضعيف، ولو قلت يشرقن لكان أولى لأن الإشراق أبهر وأدوم من اللمعان، وقلت (بالضحى) والضحى الصباح ولايأتي

في هذا الوقت من الضيوف إلا القليل، ولو قلت بالدجى لكان أليق وأرشق، لأن الضيف أكثر طروقا بالليل منه بالنهار، وقلت أكثر (أسيافنا) وهو كذلك جمع قلة، ولو قلت سيوفنا لكان أكثر وأقهر، وقلت (يقطرن) فذللت بذلك على ضعف القتل وقلة القتلى، ولو قلت يسلن أويجرين لكان الدم أكثر انصبابا، وقلت (من نجدة) بالأفراد، ولو قلت من نجدات بالجمع لكان أحسن، وقلت (دما) بالإفراد أيضا، ولو قلت دماء لكان أغزر وأجدر بمقام الفخر، فهذه ثمانية أخطاء في بيت واحد من الشعر الذي تباهي به يا حسان!...

حسان : (مطرق الرأس منكسر البال؟ لا يجيب بشيء؟ والنابغة يتأمله)

الخنساء :

- وأما قولك: ولدنا بني العنقاء وابني محرق ...الخ

حسان : (ينصرف حسان ذليلا مهانا) .

النابغة :

- حسبه يا خنساء أنه نكس وخنس فلا تجهزي عليه.

أهل السوق : (ضحكات هزؤ وصيحات سخرية تتجاوب من كل مكان، والستار ينزل ثم يعلو، والجماعة منصرفون، ويبقى اثنان يتحاوران)

أحدهما (1) :

- من هذه الفاعلة؟ إنها ورب الكعبة لشاعرة مجادلة مناضلة.

الثاني (2) :

- هي تماضر بنت عمرو بن الشريد سيد بني سليم أرثى شواعر العرب، وأحسن من بكى وندب، اشتهرت بالخنساء، وهو وصف مستحسن في الظباء كما تعلم وتوصف به بعض النساء..

الأول : (محركا رأسه)

- نعم.. نعم لتأخر أنفها لقبت بذلك، إن شعرها ليأسر القلوب، لأن في تراكيبها حلاوة، وفي معانيها طلاوة، وإن كانت لتسيل حزنا، ما كنت أحسب أن المرأة تبلغ هذا المبلغ في ميدان الشعر، وتسموا هذا السمو بين فحول الرجال، من فرسان البلاغة والبيان.

الثاني (2) :

- أستسمحك في سؤال يا أخا العرب.

الأول (1) :

- لا عليك وحبا وكرامة يا أخي.

الثاني (2) :

- أما حضرت سوق عكاظ قبل اليوم؟.

الأول (1) :

- كم كنت أتمنى ذلك؟ وما أتاحت لي المقادير غير هذه الفرصة السعيدة، والتي عرفت فيها قيمة المرأة العربية بالخصوص.

الثاني (2) :

- لـو كنـت حـضـرت لرأيـت بنـات الأعـراب، يـأتين بالعجـب العجـاب، ووجـدت في النـسـاء مـن تفـوق الخنـسـاء في غـير الرثـاء والبكـاء.

(سـتـار)

ملاحظة: قد يلاحظ علينا اعتماد شيء من الأساطير تارة والاتكال على الخيال تارة أخرى، في موضوع تاريخي بحتٍ، والجواب أن الروايات التاريخية كالقصص الواقعية، إذا كان سداها الحقيقة، فلحمتها الخيال إن لم يكن ذلك هو إكسير حياتها.

المشهد الثالث

(مناحة من مناحات الجاهلية في الحرم المكي - بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين على المشركين- نساء يبكين رجالهن مرتديات السواد والحداد حواسر الرؤوس سوافر الوجوه يشققن الجيوب ويلطمن الخدود) .

فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (تبكي زوجها) :

يا عين بكّي عند كل صباح
جودي بأربعة على الجراح
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله
فتركتني أضحى بأجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ما عشت لي
أمشي البراز وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي
منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قمرية شجنا لما
يوما على فنن دعوت صباحي

(ثم تشهق فتستشهق النساء وتصيح) :

- **واجَبَلاه، واعَضُداه:**

النساء : (يرددن قولها)

- **واجبلاه، واعضداه،**

السلكة : (أم تأبط شرا ترثي ابنها السليك)

طاف يبغي نجــــوة ❖ من هلاك فهــلك

ليــت شعــري ظـلــة ❖ أي شــيء قـتـــلك

أمــريـض لـم تـعـد ❖ أم عــدو خـتـــلك

والـمــــنـايـا رصـد ❖ للفتى حـيـث سلـك

أي شـــيء حــســن ❖ لفتـى لـم يـك لـك

كـل شـيء قـــاتـل ❖ حيـن تلقـي أجـــلك

طال مـا قد نلت فـي ❖ غيـر كـد أملـــك

أن أمـرا فــادحــا ❖ عـن جوابـي شغلــك

سـأعزي النفــس اذ ❖ لـم تـجب من سألـك

لـيت قلبـي ســاعــة ❖ صـبـره عنــك ملــك

لـيت نفسـي قُـدمـت ❖ للمنـايـــا بـــدلــك

النسوة : (يعدن البيتين)

لـيت قلبـــي ســاعــة ❖ صـبـره عنــك ملــك

لـيت نفسـي قُـدمـت ❖ للمنـا يـــا بدلـــك

(وتبكي السلكة ويبكي النسوة بعدها ،ثم تردد ويرددن بعدها) .

السلكة :

- واولداه، ، ، واكبداه، ، ، ، ، وافلذتاه، ، ، ، ، ،

النسوة :

- واولداه، ، ، ،واكبداه، ، ، ، ، ، وافلذتاه، ، ، ، ،

(ويبكي الجميع)

فارعة بنت شداد (تبكي أخاها مسعودا) :

يا عيـن بكّي لمسعود بن شـداد
بكـاء ذي عبـرات شجــوه بـــاد
من لا يذاب له شحم السديف ولا
يجفـو العيال إذا ما ظُــن بالــزاد
ولا يحُلُّ إذا مـا حــلَّ منـــتــبـذا
يخشى الرزية بين المال والنــادي
قـوَّال محكمــة نقَّـاض مبـرمـة
فــرَّاج مبهـمـة حـــبَّـــاس أوراد
نـحَّار راغـيـة قتَّـــال طاغــيـة
حـلاّل رابيـة فكّـــاك أقــيـــاد
حلاّل مـمرعـة حمّال معضلـــة
فرَّاج مفظعة طــــلاّع أنـــجــاد

شهّاد أندية رفاع أبنية

شداد ألوية فتاح أسداد

جماع كل خصال الخير قدعلموا

زين القرين ونكل الظالم العادي

(ثم تنوح لاطمة خديها ضاربة صدرها) :

- وا أخاه... وا عزيزاه...

النسوة : (يفعلن فعلها ويرددن قولها)

- وا أخاه..وا عزيزاه.. ويبكين.

أميمة : (بنت أمية بن عبد شمس ترثي أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها يوم الحريرة[1]) :

أبى ليلك لا يذهب ❖ ونيط الطرف بالكوكب

ونجم دونه النسران ❖ بين الدلو والعقرب

وهذا الصبح لا يأتي ❖ ولا يدنو ولا يقرب

بعقر عشيرة منا ❖ كرام الخيم والمنصب

أحال عليهم دهر ❖ حديد الناب والمخلب

فحل به وقد أمنوا ❖ ولم يقصر ولم يشطب

---

1. هذا يوم من أيام العرب المشهورة التي كانت تتطاحن فيها القبائل فيأكل القوي منها الضعيف، وقد كان هذا اليوم لقيس على كنانة وقريش، والحريرة: اسم الموضع الذي وقعت فيه المعركة، وهو بين الإيواء ومكة قرب نخلة.

وما عنه اذا ما حلّ ❖ من منجي ولا مهرب
ألا يا عين فا بكيهم ❖ بدمع منك مستغرب
فإن أبكي فهم عزِّي ❖ وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي ❖ وهم نسبي اذا انسب
وهم مجدي وهم شرفي ❖ وهم حصني إذا أرهب
وهم رمحي وهم ترسي ❖ وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائل منهم ❖ إذا ما قال لم يكذب
وكم من قائل فيهم ❖ خطيب مصقع معرب
وكم من فارس منهم ❖ كميٍّ معلم محرب
وكم من مِدره فيهم ❖ أريب حوَّلٍ قلَّب
وكم من حجفل فيهم ❖ عظيم النار والمركب
وكم من خِضرم فيهم ❖ نجيب ما جد منجب[1]

الخنساء : (تبكي أخاها صخرا)

يؤرقني التذكر حين أمسي
ويردعني عن الأحزان نكسي
على صخر وأيٌّ فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان حلسِ

1. روى أن فاطمة بنت رسول الله (ص)كانت تتمثل بابيات هذه القصيدة بعد وفاة أبيها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

ولـــم أر مثلـــه رزءا لجـــن

ولـــم أر مثلـــه رزءًا لأنـــس

ألا يا صخر لا أنســاك حتــى

أفارق مهجتــي ويُشــقّ رمســي

يذكرني طلوع الشمس صخرا

وأذكـره لـكل غروب شمــس

ولولا كثرة الباكيــن حولــي

على إخوانهم لقتلت نفـســـي

ولـكـــن لا أزال أرى عجـــولا

وباكية تنـــوح ليوم نحـــس

وما يبكون مثل أخي ولكــن

أعـزِّي النفس عنه بالتَّــأسِّــي

فقد ودَّعت يــوم فـراق صخــر

أبي حسان لــذاتـــي أنســـي

فيا لهفي عليــه ولهــف أمـــي

أيُصبح في الضريح وفيه يمُسي؟

(ثم تبكي فتستبكي وتصرخ) واصخراه... واحماه... وا ملاذاه..

النساء : (يبكين ويرددن معها بينما يتسلل بعض النسوة فيخرجن ويدخل البعض)

- واحماه، ، ، وا ملاذاه، ،

هند بنت عتبة بن ربيعة (تبكي من فقدت من أهلها في بدر) :

من حس للأخوين كالـ ❖ غصنين أو من رأهما

ويلي على أبويّ والـ ❖ قبر الذي واراهما

لا مثل كهلي في الكهو ❖ ل ولا فتى كفتاهما

أسدان لا يتذللا ❖ ن ولا يرام حماهما

رمحين خطيين في ❖ كبد السماء تراهما

ما خلفا اذ ودعا ❖ في سؤدد شرواهما

سادا بغير تكلف ❖ عفوا بفيض نداهما

(وتبكي فتستبكي النساء وبعد لحظة تقف ماسحة الدموع قائلة)

هند :

- اشهدن لي معشر النساء، أني أصبحت أكبر رزءا من الخنساء وأني أعظمكن مصابا، بما حلَّ بأسرتي، وكويت به مهجتي، فأنا أعظم العرب مصيبة، وأجلّهم نكبة، وأفدحهم خطبا.

الخنساء : (واقفة تدنو منها وتتلمسها)

- من أنت يا أخية وما دهاك؟.

هند :

- أنا هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان بن حرب، وأعظم الناس مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك وأصبحت- والأمثال تضرب بك- كنار على علم، فبم تعاظمينهم؟

الخنساء :

- هوني على نفسك بعض ما بها واجلسي أعرفك.

(تجلسان)

أفاخرهم بسيد مضر عمرو بن الشريد أبي، وبابنيه: صخر ومعاوية أخويَّ اللذين لم تتجب العرب بعد خيرا منهما إباءً ونجدةً وبطولة وكرما، فقد كان أبي يباهي بهما العرب في المحافل فلا يجد من يرد عليه قوله، بل كان يقع كلامه موقع الرضا والقبول من الجميع، أليس كذلك معشر النساء؟.

النساء :

- بلى، نعم نعم، أجل (يؤمنن عليها بالكلام والإشارة)

الخنساء :

- وإني لأرجو مخلصة - ولا أتمنى لك ذلك - إن أجد في المفجوعات من تضارعني في المصاب، لأتسلى بها فيهون عني بعض العذاب، وأروِّح عن نفسي شيئا من الالتهاب والاكتئاب.

هنـد :

- أعـاظمهم بـسيد قـريش عتبـة بـن ربيعـة أبـي، الـذي لا تخفـى مكانته، وبعمي شيبة بن ربيعة الـذي لا يقـل مكانـة عنـه، ثـم بـأخي الوليد بن عتبة ريحانة قريش ووحيدها ، الذين قتلهم محمد وأصـحابه أخيرا في موقعة بدر.

الخنساء :

- أوسواءهم عندك؟

هنـد :

- نعم إن لم يفوقوهم.

الخنساء :

- بماذا يـا أخية؟ أبهذا الانتصار الذي أحـرزوا عليـه في بـدر؟ أم بماذا؟.

هنـد : (تبكي ولا تجيب بينما يخرج بعض النساء) .

الخنساء :

- كـلا يا هند ليسوا سواء، وإن عظـم الـبلاء، وإن عتبـة وشـيبة لو جمعا معا لما رجحا أبي عمرو بن الشريد وحده، وأما أخوك الوليد ، فلا يبلغ معشار صخر ولا نصيف معاوية ، وليس سواء سيِّد ومسود.

هند :

- كلا وألف كلا (وتبكي)

الخنساء :

- وأما قولك أن عتبة سيد قريش، فهذا غير مسلَّم لدى القرشيين أنفسهم، ولا يزال محل نزاع بينهم، وأما دعواك بأن أخاك وحيد قريش فأريد أن أعرف في ماذا؟ أمّا كونه ريحانة فهذا لا يرفعه على أحد بين أباة الضيم وحماة الحريم.

امرأة :

- الحق يا خنساء، أنت أفجع النساء.

امرأة أخرى :

- لست أدري هل نحن في مناحة أم في مباهاة أوفي مفاخرة؟.

الخنساء : (تنشد) :

وأبكي أبي عمرا بعين غزيرة

قليل إذا نام الخليُّ هجودها

وصنويَّ لا أنسى معاوية الذي

له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا

بسلهبة الأبطـــال قُبًّا يقـودهـــا[1]

فذلك يا هند الرزيـة فــاعلــمــي

ونيران حرب حين شب وقودها

هند : (مجيبة) :

أبكي عميد الأبطحين كليهما

وحاميهما من كل باغ يريدها

أبي عتبةُ الخيرات ويحك فاعلمي

وشيبة والحامي الذمار وليـدها

أولئك آل المجد من آل غالب

وفي العز منها حين ينمى عديدها

امرأة :

- كفاكما ، كفاكما ، كل فتاة بأبيها أو بأخيها معجبة.

أخرى :

- لكل منكما أن تدَّعي أنها أعظم رزءا من أختها ، أما أن تدعي أنها أعظم العرب مصيبة ، فهذا ما أشك فيه ، فكم في العرب من مصابات ومفجوعات ، كل منهن تحسب أنها أكبر رزءا وأعظم فجيعة من غيرها.

---

1. ويروى أيضا هذا الشطر هكذا: بساهبة الآطال قب يقودها.

هند :

- صدقت يا أختاه كل فتاة بأبيها معجبة.

امرأة :

- نعم كل امرأة برزئها مشغولة.

(ستار)

الفصل الثاني

الخنساء في الإسلام

أسلمت في سنة 8 هـ و 629م

أشخاص هذا الفصـل

المشهـد الأول

- في الحرم المكي حول الكعبة.
- الخنساء: بنت عمرو بن الشريد.
- حجاج وحاجات
- رجلان (نكرات مسرحية)
- امرأة

المشهد الثاني

- في بيت عائشة أم المؤمنين
- عائشة بنت أبي بكر.
- الخنساء: بنت عمرو بن الشريد.
- امرأة: نكرة من النكرات.

المشهد الثالث

- في مجلس الخليفة عمر بن الخطاب.
- عمر: أمير المؤمنين.
- الخنساء: بنت عمرو بن الشريد.
- وفد المسلمين (3أنفار من بني سُليم).

المشهد الأول

في الحرم المكي رجال ونساء لا بسين البياض.

(يطوفون بالكعبة ملبين - بينما يسمع صوت الأذان من بعيد رخيما عذبا- ترى من بينهم امرأة تستلفت الأنظار بلباسها الأسود حدادا على من فقدت، تفعل فعلهم والأنظار ترقبها شزرا، ثم تندب باكية منتحبة فتخفت أصوات الملبين ويرتفع صوتها بقولها) :

الخنساء :-

ألا يا صخر إن أبكيت عيني

فقد أضحكتني دهرا طويلا

بكيتك في نســـاء معـــولات

وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حـــي

فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيـــل

رأيت بكاءك الحسن الجميلا

الحجاج : (يلبون في صخب) :

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك، لبيك اللهم لبيك....الخ.

رجل : (أنهى طوافه، واقف ينتظرها تصل ليوقفها)

- ويحك ما هذا السواد والحداد؟ ماذا تتشدين أمام بيت اللّٰه الحرام؟ إن هذا مناف للإسلام أو لست مسلمة؟!.

الخنساء : (بادية الحزن)

- بلى أسلمت وجهي للّٰه وما أنا من المشركين.

الرجل :

- ولكن هذا السواد والحداد من بدع الجاهلية التي منعها الإسلام!.

الخنساء : (بعد برهة)

- صدقت يا أخي ومالي أنا فيه بدٌّ، وإنه لم يصب أحد بمثل ما أصبت به.

رجل آخر : (يقف بعد إنهاء طوافه يقاطعها)

- إنك لمن الجاهلين يا أمة اللّٰه؟ أين تبلغ مصيبتك من مصائب كثيرين؟ كانت أشد هولا وأعظم وقعا عليهم مما حل بك.

فصبروا وقالـوا:

- إنا لله وإنا إليه راجعون،

(ويسكت إذ يرى امرأة تقف فجأة من طوافها وتقبل عليهم).

الخنسـاء:

- نعم ولـكنك لم تصب بمثل ما أصبت به.

الرجل:

- هذه امرأة أقبلت أتركك لها عساها تقنعك.

الحجاج: (يلبون ويطوفون)

- لبيـك اللـهم لبيـك، لبيـك لاشـريك لـك لبيـك إن الحمـد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.. لبيك اللهم لبيك... الخ...

المرأة:

- أخنساء أنت؟

الخنساء:

- نعم يا أختاه، ومن أنت أيتها الأخت؟

المـرأة:

- أنا إحدى المعجبـات بـك، المشفقات عليـك تعـالي، هلمـي معي إن أتممت طوافك.

الخنساء :

- لست أدري أسبعا طفت أم عشرا؟ وعلى كل فحسبي وسيغفر لي ربي جميع ذنبي، وهو الغفور الرحيم.

المرأة : (ماسكة بيدها)

- تعالي معي إلى منزل رسول الله (ص)، فإن عائشة أم المؤمنين تدعوك.

الخنساء :

- هذا شرف عظيم لي ما كنت لأحلم به أو أتطلع إليه.

المرأة :

- هلمي، هلمي، تعالي.

(ستار)

المشهد الثاني

((عائشة أم المؤمنين في بيتها ، يقرع الباب ، وتدخل المرأة التي كانت تطوف بالكعبة وبصحبتها الخنساء)) .

عائشة :

- من؟... من بالباب؟...أدخل.

المرأة :

- السلام على أم المؤمنين ورحمة اللّه.

عائشة :

- وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته.

المرأة :

- هذه الخنساء يا أم المؤمنين وجدتها تطوف ببيت اللّه الحرام وهي تنشد الشعر وتبكي، وعليها هذا السواد والحداد.

(تدنو الخنساء من أم المؤمنين وتتعانقان) .

عائشة :

- على الرحب يا خناس أهلا وسهلا؟ كيف الحال ياتماضر؟

(وتسيران إلى مكان معين للجلوس بينما تستأذن المرأة في الانصراف، وتخرج).

المرأة :

- استودعكما الله.

عائشة والخنساء :

- في حفظ الله وحسن عونه، بارك الله فيك.

عائشة :

- كيف حالك يا خالة؟ لقد سررنا بإسلامك، وكم تمنيت رؤيتك بعد ذلك.

الخنساء :

- أقول بخير على أي حال، أما حالي فحال المرأة البائسة الحزينة.

عائشة :

- أحمدي الله الذي هداك للإسلام.

الخنساء :

- الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

عائشة : (وهي تشير إلى الصدار الذي ترتديه الخنساء تحت دثارها الأسود) .

- ما هذا يا تماضر؟ أتلبسين الصدار الشعري الخشن عنوان السخط وعدم الرضا بقضاء اللّٰه وقدره؟!. وقد نهى عنه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم.

الخنساء :

- لم أسمع بنهيه وله سبب.

عائشة :

- ما هو هذا السبب الذي جعلك تتمسكين بشيء من عوائد الجاهلية التي أراحنا منها الإسلام.

الخنساء :

- زوَّجني أبي رجلا متلافا لماله فأسرع فيه يعطي ويتصدق حتى نفد ماله عن آخره[1] فقلت هلم نبتغي شيئا ، فقال إلى أين؟ قلت إلى أخي صخر ، فلقيناه فقاسمنا ماله شطرين ثم خيرنا فاخترنا أحسن النصفين، فأقبل زوجي ينفق منه ويتصدق حتى نفد ، ثم قال وبعد ياتماضر؟ قلت هلم ثانية إلى صخر فأتيناه فقاسمنا وأعطانا خير

---

1. لعل هذا الزوج هو زوجها الأول عبد العزى الذي سبقت الإشارة إليه في فاتحة الفصل الأول، وقيل هو الرواحي الذي يذكر بعض الرواة كان يقامر بالقداح حتى أتلف ماله بذلك؟ ولو كان الرواحي كما يقولون لما خاطر صخر بماله مرات في سبيل مقامر سفيه والله أعلم.

النصفين، فقالت له امرأته أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهم خير النصفين[1].

فقال:

- والله ما أمنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها ولوأموت مزقت خمارها وجدلت من شعر صدارها.

عائشة:

- أمن أجل هذه الكلمة فقط لبست الصِّدار؟!

الخنساء:

- نعم يا أم المؤمنين، من أجلها ومن أجل مكانة أخي في نفسي، فقد كنت أعد إشاراته أوامر يجب تنفيذها.

عائشة:

- وما خبر أخيك هذا الذي همت به إعجابا وتقديرا؟.

الخنساء:

- كان أخي سيد قومه وفارسهم المغوار، يحمي الذمار، ويهوى النار والعار.

وإنَّ صخرا لمقدام إذا ركبــــوا

وإن صخرا إذا جاعـوا لعــقــار

---

1. ويروى أن هذا العمل تكرر مرات، ولذلك نفد صبر زوجته.

وإن صخرا لمولانا وسيدنا

وان صخرا اذا نشتوا لنحَّار

أغر أبلج تأتم الهُداة به

كأن علم من فوقه نار

جلد جميل المحيّا كامل

ورعٌ وللحروب غداة الروع مسعار

حمَّال ألوية هبَّاط أوديته

شهَّاد أندية للجيش جرار

عائشة : (معجبة)

- إن هذا الشعر لمن أبلغ الشعر... بخ.. بخ لك يا خناس زيدي فاسمعيني بعض ما قلته فيه.

الخنساء :

- ماذا أسمعك يا أماه؟ فقد بكيته زمنا طويلا آناء الليل وأطواف النهار، وقلت فيه وفي أخي معاوية ما لا يحصى من الشعر الباكي الحزين.

عائشة :

- اسمعيني ما شئت فإن شعرك يعجبني؟.

ويطفي من حزني ولوعتي وأجد فيه العزاء والسلوى لنفسي.

الخنساء :

أعينَيَّ جــــودا ولا تجـمـــــدا

ألا تبكيان لصخـــر الـنـــدى

ألا تبـكـيـان الجـريء الجمـيـل

ألا تبـكـيـان الفـتـى السـيــدا؟

رفيع العماد طـــويـل النجـــاد

وســـاد عشــــيـرتـــه أمـــردا

إذ الـقـــوم مــدُّوا بأيــديـهـــم

إلـى الـمـجـد مدَّ إلـــيــه يـــدا

فنــال الـذي فـــوق أيديـــهـــم

مـن الـمـجـد ثـم مـضـى مصـعــدا

ويحـمــل للقـــوم مـا عــالـــهـم

وإن كـان أصـغـرهـــم مـولـــدا

جـمـوع الـضـيـوف إلـى بـيــتـــه

يرى أفضل الـكـسـب إن يحـمــدا

وإن ذكـــر الـمـجــد الفيـتـــه

تـأزَّر بالـمـجـــد ثـــم ارتـــدى

غـيـاث العشـيـرة إن أمـحـلـــوا

يهـيـن الـتِّـلاد ويحـيـى الجـــدا

عائشة:

- هيه يا خناس ما أعظم حزنك وأعذب شعرك، استشفي بالبكاء واكتفي بالرثاء، ولا تسرفي في الجزع أو تفعلي شيئا من أعمال الجاهلية، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن ذلك ويقول: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) فاتقي الله وأطيعي رسول الله.

الخنساء:

- لم أفعل من ذلك شيئا في الجاهلية يا أماه، فكيف يكون مني في الإسلام؟ أماالبكاء والرثاء فمالي منهما بد، بل هما مسلاتي الوحيدة التي أنفس بها عن نفسي الولهى وكبدي الحرى فبالدّمع أطفئ نيران قلبي الموقدة، وبالشعر أكبح جماح نفسي الثائرة.

عائشة:

- الحق معك يا خالتاه؟ فأنا لا أعرف امرأة تستطيع أن تكبح جماح نفسها إذا فقدت عزيزا عليها، وإنها لأضعف من أن تكمَّ فاها، أو تكفكف دمعها، ولكن المؤمنة قادرة على ترك ما نهى الله ورسوله عنه متى أرادت.

الخنساء:

- إن الله غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء من عباده، ولعل رحمته التي وسعت كل شيء تشملني يا أماه.

عائشة :

- نعم.. نعم ، إن الله غافر الذنب، وقابل التوب، ولكن إذا يشاء يا خنساء، لطف الله بك وغفر ذنبك، وخفف عنك ما أنت فيه من كرب وبلاء.

الخنساء : (وعيناها تذرفان الدمع)

- آمين... آمين... يا رب العالمين.

عائشة : (بعد مهلة)

- من لك الآن يا تماضر؟ هل لك أبناء أو أحماء؟.

الخنساء :

- لي الله يا أماه؟ وأربعة أولاد أدركوا مدارك الرجال؟ يطير الحماس من أعينهم شررا؟ ويضيء سنا وجوههم ظلمة الليل البهيم، وإنهم لأهل بأس ونجدة، وجهاد وشدة لا يتخاذلون عند اللقاء، ولا يطمع فيهم الأعداء، سلمهم فيهم، وسيفهم على عدوهم.

عائشة :

- الحمد لله، الحمد لله، المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وقد حصلت بهم على أحد شطريها، وبهم ستحصلين على شطرها الباقي فتتم عليك نعمة الله، متعك الله بأولادك وأقرَّ بهم عينك ولا أراك فيهم سوءا؟ فاحمدي الله واشكريه على ما أولاك من فضل عظيم.

الخنساء :

- الحمد لله على كل حال، أحمده تعالى وأشكره على السراء والضراء.

عائشة :

- إذن فتعزَّي بهم عمن فقدت من ذويك يا خنساء، ولا داعي للجزع والحزن والبكاء.

الخنساء :

- ليسوا سواء يا أم المؤمنين، فأين الثريا وأين الثرى، وأين المغارب من مشرق؟ أين يبلغ أبنائي مبلغ أبي وأخويَّ سادة مضر وأمجادها؟.

(وتنهمر عيناها بالدموع وتحاول أن تكفكفها فلا تقدر ثم تجهش بالبكاء... فتشفق عليها عائشة وتعزم على إقناعها بحجة أقوى وأعنف) .

عائشة :

- هذا أمر الله يا أمة الله، ولا راد لقضائه تعالى وقدره، فاصبري يا خناس واتقي الله واعلمي أنك لست وحدك المصابة في هذه الدنيا ، ما رأيك فيمن فقدت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم؟ ولم تُنجب منه ما قد تتسلى به، ثم لا طبع لها في أن تستخلفه بكائن من كان من البشر، وهي في ريعان العمر!! كما فقدت أباها :

صدِّيقه وصاحبه إذ هما في الغار، ورفيقه في الهجرة، وخليفته الأول بعد وفاته، فأين أنت من كل هذا ؟؟...

الخنساء:

- الحق معك يا أماه، معذرة فقد أسرفت معك في الكلام إذ انطلقت على سجيتي دون أن أكبح زمام نفسي، وإنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

عائشة:

- هكذا فلتكن المؤمنة إذا حلت بها مصيبة قالت إنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون.

(ستار)

المشهد الثالث

((الخليفة عمر بن الخطاب في مجلسه وهو بيت بسيط خال من جميع أنواع الأبهة والجمال جالس متربع بين نفر من أصحابه (3أو4) يتذاكرون في أمر هام من أمور المسلمين)) .

عمر :

- إن أمر الفرس يقلق بالي ويقض مضجعي.

أحدهم (1) :

- ماذا؟ هل جد جديد هنالك.

عمر :

- ورد عليَّ كتاب من عاملنا بالعراق المثنى بن حارثة الشيباني يتخوف فيه من انتقاض من دان له بالطاعة من الفرس المجاورين ويتوقع هجوم الفرس على العرب، وثورة المجوس على المسلمين.

الأول :

- إنهم ليتربصون بنا الدوائر ليأخذوا بثأرهم من ذي قار.

آخر الثاني :

- حقـا إن انتـصار العـرب علـيهم في معركـة ذي قـار ليحـز في قلوبهم ولمّا يأخذوا بثأرهم بعد ، فلنحذر انتقاضهم علينا.

الثالث :

- لـئن تغلـب علـيهم العـرب بـالأمس وهـم مـشركون قليلـون فكيف لا يتغلبون اليوم وهم مسلمون كثيرون؟.

عمر :

- لاتغتروا ولاتعجبكم كثرتكم، فكم من فئة كثيرة قضى عليها اغترارها بكثرتها أو بانتصارها ، وما يوم حنين عنا ببعيد.

الرابعة :

- لا نغتر يا عمر مع الفرس والروم فنحن أعرف بقيمتهم.

عمر :

- أنا أفكر في معاجلتهم قبل أن يباغتونا- لإلقـاء الرعب في نفوسهم، فيكون الرعب من أشد أعواننا عليهم.

(يقرع الباب فيقوم له أحدهم ويسكت عمر) .

الخامسة :

- إذا هممت فتوكـل علـى الله، ونحـن معك بأموالنـا وأنفسنا وأولادنـا إعـلاء لكلمـة الله، ودفاعـا عـن الـشرف وحمايـة لبيـضة

العرب وحوزة الإسلام... **(يدخل ثلاثة أنفار)**.

الثلاثة:

- السلام عليكم ورحمة الله.

الجماعة:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عمر: (لأصحابه)

- سننظر في الأمر من بعد **(ثم يتوجه للنفر الثلاثة)** من أنتم؟ وماتريدون؟.

أحدهم:

- نحن من سليم بن عيلان بن مضر، جئنا نشكو إليك حال امرأة منا برح بها الحزن وطوَّح بها الجزع إلى مهاوي الجاهلية الجهلاء، ونرغب منك إحضارها وبذل النصيحة لها، عسى أن تثوب إلى رشدها وترعوى عن غيها.

عمر: (وهو يشير لهم بالجلوس)

- اجلسوا، من هذه؟ وما بالها؟.

الثاني:

- هذه تماضر بنت عمرو بن الشريد السُّلميَّة المعروفة بالخنساء أسلمت وحسن إسلامها، ولكن ما تزال بها عوائد من الجاهلية

الأولى، نصحناها بتركها فلم تتصح فجئنا نشكوها إليك لتأمرها بالكف عما ألفت.

عمر:

- أين هي الآن؟ ومن لي بها؟.

الثاني:

- لقد جاءت في ركبنا اليوم لبعض شأنها وهي غير بعيدة عنا، وأنا أتكفل بإحضارها لكم الآن.

عمر:

- انطلق واطلبها لنا بارك الله فيك (**يخرج لاستدعائها**) عمر للسُّلمِّيين أذكرا لي هذه العوائد الممقوتة وأسبابها؟.

الأول:

- السواد والحداد على أبيها وأخويها الذين فقدتهم في الجاهلية، والآن وقد أسلمت ما تزال دائمة البكاء والنحيب عليهم حتى غارت عيناها وأوشكت أن تفقد بصرها.

عمر:

- الذي أعلمه عنها أنها شاعرة مجيدة، رأيتها يوم أسلمت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يستنشدها من شعرها فيعجبه قولها، ويقول: هيه يا خناس ويومئ بيده الكريمة،

وقد بايعته على الإيمان بالله ورسوله، وترك ما نهى الله ورسوله عنه.

الثاني:

- نعم إنها شاعرة بفطرتها، بدأت تقول الشعر من الصغر ثم أكثرت منه بعد موت أخويها، فكان من جيد الشعر، ولكن كله رثاء يسيل حزنا، وبكاء يقطر دما، وأنين يفتت الأكباد.

عمر:

- حدثاني قليلا عن أخويها.

الأول:

- كان لها أخوان فارسان تحبهما حبا جما، هما: صخر ومعاوية وقد كانا من أفرس العرب وأشجعهم وأفصحهم لسانا، وأوضحهم بيانا وأحسنهم شكلا، وأصبحهم وجها، وكان أبوهما يأخذهما في المواسم الكبرى والمحافل، يفاخر بهما الأقران والشيوخ متحدثا بنجابتهما ونجدتهما، ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتقع أقواله منهم موقع الرضا والقبول.. (**عمر يهز رأسه مؤمِّنا**) وكان صخر على الخصوص من أبر الناس بأخته وأحدبهم عليها.

عمر:

- أذكرا لي أخلاقها وطبائعها.

الثاني :

- هي متينة الأخلاق ذات وقار وشمم، عزيزة النفس، ذكية الفؤاد، تكره النفاق والمداهنة، وهي صريحة فصيحة، خطبها مرة فارس هوزان وسيد بني جُشم دريد بن الصِّمَّة الشاعر المشهور فامتنعت منه وأبت أن تتزوجه، أما طبائعها فما عرفناها إلا مطبوعة على الحزن مجبولة على الجزع لموت أبيها وأخويها، فهي دائمة البكاء والنحيب تتذكر موتاها لأدنى شيء فتبكيهم، وتذكرهم لأقل مناسبة فتندبهم بشعر حزين ودمع سخين، وهكذا تمضي أيامها ولياليها حتى ذوت زهرة حياتها..

وأسلمت فلم يتغير طبعها هذا، كأن الحزن قد أحرق حشاها، وكوى فؤادها.

(يقرع الباب ويدخل الرسول ومعه الخنساء)

الرسول :

- السلام عليكم ورحمة الله، هذه الخنساء يا أمير المؤمنين.

الحاضرون :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عمر :

- هلمي يا خنساء واجلسي.. (تجلس غير بعيدة منه) أهلا وسهلا ومرحبا. ما دهاك يا خنساء؟ ما الذي صيرك إلى هذه الحال؟

الخنساء :

- بكائي لفحول مضر يا أمير المؤمنين جعلني كما ترى.

عمر :

- دعي عنك البكاء والنحيب فإنهما لا ينفعانك فتيلا.

الخنساء :

- لا سبيل إلى ذلك أيها الخليفة العادل.

عمر :

- التجئي إلى رحمة الله، واصبري إن الله مع الصابرين، واعلمي أن كل نفس ذائقة الموت، وأن كل من عليها فان.

الخنساء :

- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، إني امرأة ضعيفة الإرادة واهنة القوى، خائرة العزيمة، أمام ما انتابني من الكوارث، وليس لي سلطان على نفسي الجامحة.

عمر :

- هوني على نفسك واعلمي أن في الناس من هو أعظم منك مصيبة، وإن الإسلام قد غطى ما كان قبله، وإنه لا يحل لك لطم خدك ولا ضرب صدرك أو حلق رأسك وتمزيق ثيابك، واصبري إن الله مع الصابرين، ولو خلد أحد لخلد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبيُون من قبله، ولكن كل نفس ذائقة الموت، ولو كانت

في بروج مشيدة (تبكي الخنساء)... كفكفي من دمعك وخففي من حزنك يغفر الله لك.

الخنساء : (باكية)

أريقي من دموعك واستفيقي

وصبرا إن أطقت ولن تطيقي

وقولي إن خير بني سليم

وأكرمهم بصحراء العقيق

ألا هل ترجعنَّ لنا الليالي

وأيام لنا بلوى الشقيق

وإذ فينا معاوية بن عمرو

على أدماء كالجمل الفنيق

فبكّيه فقد أودى حميدا

أمين الرأي محمود الصديق

فلا- والله- لاتسلوك نفسي

لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا

من النعلين والرأس الحليق

عمر :

- اتقي الله يا خالة، واعلمي أن من تبكين هلكوا في الجاهلية، فعلام هذا النحيب والبكاء الدائمان لمن هم اليوم حطب جهنم؟.

الخنساء : (وهي تبكي ...)

- ذلك أطول لحزني عليهم، وأدوم لبكائي ياعمر، فلئن كنت أبكي لهما من الثأر، فأنا اليوم أبكي لهما من النار **(وتبكي .. ثم تبكي ...)**

عمر : (للسُّلميِّين وهو متأثر مما رأى وسمع)

- خلوا سبيل عجوزكم لا أبا لكم، فكل امرئ بما كسب رهين، **(والخنساء دائمة البكاء تذرف الدمع وتكفكفه ...)** .

دعوها بعد اليوم وشأنها، فإن للمرء أن يبكي ما شاء لمصيبته، وليس له أن يفعل شيئا مما نهى الله ورسوله عنه، مما يدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

(ستار)

الفصل الثالث

تضحيتها في القادسية

شخصيات هذا الفصل

المشهد الأول

- الخنساء في بيتها وهو غير البيت السابق في الفصل الأول.
- الأم (أو العجوز): الخنساء بنت عمرو بن الشريد.
- الأبناء: 1و2 و3 و4 أولاد الخنساء في مقتبل العمر بين 25و 35 سنة
- الأصوات: قرع الباب.

المشهد الثاني

- (الاستنفار للحرب) في ساحة فسيحة من بطاح المدينة.
- الخليفة: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رض)أو نائب عنه مع بعض من كبار أصحابه.
- سعد: القائد العام للجيش العربي سعد بن أبي وقاص(رض)
- أصوات: أصوات تلبية وغيرها من الحاضرين.
- نكرات مسرحية: منادي، حادي، رجال، نساء. المعدات: رايات مختلفة وأسلحة منوعة من سيوف ورماح وأقواس ونشاشيب ونبال وتروس.

المشهد الثالث

- الزحف إلى العدو.
- الخليفة: عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين
  (أو نائب عنه).
- سعد: القائد العام للجيش العربي.
- القادة: ضباط الفرق وأصحاب الألوية (أربعة أو خمسة أو أكثر حسب الحاجة)
- بقية النكرات: نساء، وشيوخ، وأطفال، جاؤوا لتوديع الجند.
- المعدات: نفس المعدات السابقة (رايات مختلفة وأسلحة متنوعة: سيوف،رماح، أقواس،..الخ)

المشهد الرابع

(من أنباء الواجهة) عمر وأصحابه في مجلسهم يتذاكرون في سير الحرب ويتلقون أخبار القتال.

المشهد الخامس

-(رجوع الجند من القادسية)

- المستقبلون: نساء، شيوخ، أطفال، (نكرات) في فلاة خارج المدينة.
- الخنساء: عجوز تتوكا على عصا من بين المستقبلين.
- جندي: مجاهد جريح مكسور الرجل (من العائدين) يتوكا على عصا.
- بقية النكرات: مجاهدون عائدون من الغزو وأكثرهم معطوبون (معصبي الرؤوس والأطراف يتحاملون في مشيهم).

المشهد الأول

(الخنساء في بيتها ليلا على فراش يناسب الفصل الذي تمثل فيه الرواية وهي عجوز محدودبة الظهر ضعيفة البصر، تنتظر مقدم بنيها ليلا، والحيرة بادية عليها) .

الخنساء : (متأففة قلقة)...

- يا لهم من كفرة فجرة، إنهم لينتقمون منا لذى قار، يا لله للمسلمين من العتاة الكافرين.

(يقرع الباب فيدخل أربعة فتيان في ريعان الشباب) .

الخنساء :

- ها أنتم هؤلاء قد عدتم، وأنا في انتظاركم من زمان، لقد أطلتم الليلة، ترى ما أخَّركم؟.

الأول :

- تأخرنا في المسجد لأن الإمام شغله أمر هام، فلم يحضر في الوقت، فتخلفنا لتخلفه.

الثاني :

- هلم بالعشاء يا أماه فقد طوينا.

الخنساء :

- حاضر يا بني.

(تـذهب الأم لتـأتي بالطعـام، بينمـا يأخـذ الفتيـان مجالـسهم للعـشاء، ويتهامسون بحيث يسمع حديثهم النظارة في القاعة) .

- كيف العمل يا ترى؟.
- هل تخبرها بشيء مما عزمنا عليه؟.
- لا ، لا ، لا نتعجل، ننتظر حتى نرى مناسبة لذلك؟.

(تعود الأم بالطعام، وتضعه أمام أبنائها وتجلس قريبا منهم وهم يتعشون ، وهي تتململ قلقة، وبعضهم يتأملها ، وهي تتأفّف)

الثالث :

- هل من لبن يا أماه؟.

الخنساء :

- حاضر يا بني (تقوم في توان وبطء لتأتي به).

الثالث :

- ما للعجوز الليلة مطرقة صامتة؟ خلافا لما اعتدناه منها؟.

الرابع :

- لعل التعب والإعياء قد نالا منها.

الأول :

- كبرت، وأثر عليها العجز والشيخوخة.

الثالث :

- لا ، كأن أمرا جديدا طرأ عليها ، أما تراها متأففة قلقة؟ وقد كانت تقابلنا بالبشر والترحاب، وتحادثنا بكل ممتع جذَّاب.

(تدخل الأم بقعب من اللبن ، فيتناوله الثالث وهو يتأملها ويشرب بينما تعود هي إلى مجلسها السابق) .

الثالث : (بعد الشرب):

- الحمد لله، ما ألذَّ هذا اللبن وأطيبه.

الخنساء :

- هنيئا مريئا يا بني.

الثاني :

- ناولني أشرب أنا الآخر (وبعد الشرب): الحمد لله على نعمائه.

الرابع : (بعد الفراغ من الأكل والشُّرب) :

- الحمد لله والشكر له: ناولينا ماء الغسيل.

(ترفع الأم أواني الأكل، وتخرج لتأتي بالماء) .

الثالث :

- أرأيت ألم أقل لك؟.

الرابع :

- نعم آثار القلق بادية عليها ، ترى ما بالها؟.

الأول والثاني :

- نعم هناك شيء يشغل بالها!.

الثالث :

- ليت شعري مالها؟ هل سمعت بما تواطأ عليه الناس من أمر الاستنفار للحرب؟ أو...

الرابع :

- هي اليوم على خلاف عادتها معنا ، لا نذكر لها شيئا من عزمنا على الذهاب للحرب.

الأول :

- نعم هي الليلة غيرها في الماضي، ولا يمكن إزعاجها بالحرب فتتذكر مآسيها وتهيج أحزانها وهي شديدة الحساسية فتتأثر وتتألم وتمرض.

الثاني :

- نعم من الخير ألا نذكر لها شيئا الليلة مما يتعلق بالجهاد.

(تعود الأم بطست وإبريق، وتبدأ عملية الغسل. .ثم تفتح الأم الحديث مع أبنائها) .

الخنساء :

- أي أبنائي الأعزاء، الآن وقد فرغتم من الطعام، فلنشرع في الكلام، في موضوع هام.

الأبناء :

- ما أشوقنا إلى حديثك العذب يا أمنا.

الخنساء :

- يا بني أسمعتم بالفرس كيف بغوا؟ فثاروا على المثنى بن حارثة الشيباني لأخذ الثأر من ذي قار؟ أما سمعتم بالاستنفار للحرب؟ أما بلغكم نداء الخليفة؟.

الأبناء :

- بلى سمعنا بكل ذلك.

الرابع :

- ذلك ما أخرنا في المسجد، ولم نشأ إزعاجك به.

الثاني :

- نعم لقد جمع الفرس جموعهم، وحشدوا مقاتلتهم من أقاصي البلاد وأدانيها ، وتألبوا على جيوش المسلمين غيلة وغدرا حتى زحزحوهم عن أماكنهم في ضواحي السواد من أرض العراق.

الخنساء :

- وما يثنيكم أيها الأولاد عن الجهاد؟ وأنتم أهل البطولة والاتحاد؟.

الأبناء : (واجمون ساكتون...)

الخنساء :

- هل آثرتم السلامة والملامة؟ على الاستشهاد والكرامة؟

كبيرهم :

- لا يا أمنا ، حاشا أن يكون بنا شيء من ذلك، ونحن رجال الحرب والجلاد ، وأهل البطولة والجهاد.

الخنساء :

- إذن فاستعدوا للحرب، وسيروا غدا إلى أمير المؤمنين ليضمكم إلى الجيش الغازي في سبيل الله والكرامة العربية.

كبيرهم :

- ولكن...

الخنساء :

- ولكن ماذا؟ دع ولكن.

الثاني :

- لا يمكن أن نذهب جميعا ونتركك وحدك.

الخنساء :

- خلوا التعللات لغيركم، واذهبوا غدا إلى المدينة لتلحقوا بالجيش.

الثاني :

- سيمضي اثنان منا ، ويبقى معك اثنان.

الأم :

- لا بل جميعكم، أما بلغتكم أوامر الخليفة؟

الرابع :

- غير ممكن ولا معقول ما تطلبين أيتها الأم الرؤوم، ليبق معك واحد على الأقل.

الخنساء :

- قلت: بل جميعكم.

الثاني :

- لقد علم الناس جميعا ما صنعت لموت أخويك في الجاهلية ، فكيف بأبنائك اليوم، إذا ماتوا؟ ويعلم الله أننا لا نكره الموت في سبيل الله، ولا نتوقف إذا دعانا داعي الوطن، ولكن خوفنا عليك جعلنا نتوقف هذا التوقف المعقول.

الرابع :

- أما كفاك موت أخويك حتى تزيدي عليه فقد أبنائك؟

الثالث :

- نعم أنَّ جزعك على أخويك وذويك من عهد الجاهلية ، لم يزله طول العهد ، ولا الدخول في الإسلام، فكيف بنا ، ونحن أفلاذ كبدك وأعز الناس عليك؟!...

الخنساء :

- (بعد إطراق ووجوم) ، ويحكم أيها الأبناء الأشقياء توثرون حب الأم على الأمة؟ وتقدمون طاعتها على طاعة الأئمة! إنكم إذن لخاسرون. يا بني لئن كان امتناعكم من الحرب سببه إشفاقكم عليَّ فلا كنت إذن حية ، وتبا لكم وليه (وتبكي... فيتأثر الأبناء ويتململون.. ثم تستطرد الأم) أي أبنائي إنكم فلذة الكبد ، وبقية الروح في الجسد ، والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، لأنتم أعز علي من الدنيا وما فيها ، وأحب عندي من جميع من فيها ،

ولكنني أخشى على الأمة العربية، والملة الحنيفية، أن يتغلب عليها الفرس المجوسيون وعبَّاد النار الوثنيون، فيعيثون ويعبثون، وكذلك يفعلون، أما فيكم بقية من نجدة بني سليم؟ يا بني النار ولا العار، والمنية ولا الدنية، ذلكم ديدن آبائكم، ورمز أجدادكم، فأين أنتم من أولئكم؟

الثالث:

- كفى يا أم تحريضا فإنا: سنذهب مسرعين إلى القتال.

الرابع:

- سنمضي أجمعين بلا توان، فنشرب ماءه العذب الزلال.

الخنساء:

- هيه يا أبنائي الأعزاء ذلكم هو ظني بكم بارك الله فيكم؟.

الثاني:

- سراعا إخوتي نحو الخليفة، نبشره بما عزمت تماضر.

الأول:

- سراعا كلنا نحو الأكاسر، نمزق شملهم تمزيق ظافر.

الخنساء:

- مهلا يا بني وإلى الغد، وما الغد عنا ببعيد اسمعوا أوصيكم وأزودكم بما يهديكم:

- يا بنيَّ لقد أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وأنكم - والله- لبنوا رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجَّنت حسبكم، ولا غيَّرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار الفانية، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون". فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب كشفت عن ساقها، واضطرمت لظى على سباقها، وجللت نارا على أوراقها، فيمِّموا وطيسها وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

الأبناء:

- شكرا... شكرا... يا أمنا على هذه النصائح العالية، والدرر الغالية، وسوف لا نفرط فيها إن شاء الله.

(ستار)

المشهد الثاني

(الاستنفار للحرب في ساحة فسيحة من بطاح المدينة، الوقت نهار، يدعو الداعي وينادي المنادي، فتتجمع الجموع وتتهيأ للحرب).

منـاد : (ينادي بصوت جهوري عالي):

- الصلاة جامعة... الصلاة جامعة.. حي على الصلاة، حي على الفلاح.. هلموا لسعادة الدنيا والآخرة.

(يهرول الناس نحوه من كل صوب يتطلعون).

المنادي:

- الصلاة جامعة...الصلاة جامعة..حي على الصلاح.حي على الفلاح.

الناس:

- ها نحن جئنا..فما عندك؟..ما ورائك؟..هات خبرنا.

المنادي:

- انتظروا مقدم الخليفة يكلمكم...الصلاة جامعة... الصلاة جامعة... هلم يا جماعة المسلمين...

(يتلاحق الناس من كل جهة ويأتي الخليفة عمر بن الخطاب (أورسوله) ومعه كبار بعض الصحابة) .

الناس :

- ترى ماذا حدث؟.. خير إن شاء الله.. ماذا وقع يا ترى؟.. (يأتي الخليفة أو رسوله).

المنادي :

- أنصتوا إلى الخليفة (أو رسوله) يكلمكم، اسمعوا وعوا.

(الخليفة أو رسوله على مكان مشرف يخطب على الجموع)

الخليفة :

- الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على رسوله وجنده. أيها المسلمون أني موجهكم لقتال الفرس عبّاد النار، الذين جاروا على جيش المثنى بن حارثة الشيباني، فأجلوه عن سواد العراق، وإني - والله- لا آمنهم من الانتقاض عليهم ذات يوم إن لم نحرك ساكنا ، فهل أنتم مجيبون؟

أصوات :

- لبيك.. لبيك... لبيك.. وسعديك.. لبيك ها نحن بين يديك..

الخليفة : (يستمر)

- وإني جاعل عليكم سعد بن أبي وقاص قائدا وأميرا فأطيعوه وامتثلوا لأمره.

أصوات :

- نعم... نعم... نعمًّا هو... سمعا وطاعة.

(ويواصل الخليفة كلامه) .

الخليفة :

- واستعينوا بالصبر والكفاح، فإن اللّٰه ناصركم على أعدائه، ولا يهولنكم قلتكم وكثرة أعدائكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّٰه، واللّٰه مع الصابرين.

أصوات :

- ويل لهم..سحقا لهم..ويل لهم من يوم نلتقي فيه.

الخليفة :

- وقد جعلت على كل عشرة منكم عريفا ، كما كان يصنع رسول اللّٰه(ص) ، وأمَّرت على أجنادكم أكفأكم وعرَّفت بكل ذلك قائدكم العام فاسمعوا له وأطيعوه.(ثم يلتفت إلى سعد واضعا يده على كتفه ويوصيه).

الخليفة :

- وأنت ياسعد : لايغرنك من اللّه، إن قيل خال رسول اللّه، وصاحب رسـول اللّه، فـإن اللّه لايمحـو الـسيء بالـسيء ولكـن يمحـو الـسيء بالحسن، وليس بين اللّه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس في ذات اللّه سواء، واللّه ربهم وهم عباده، فانظر الأمر الـذي رأيت رسـول اللّه يلزمـه فالزمه، واصبر على ما يصيبك في سبيل اللّه، فإن الأمر كله بيده.

(ويطلب الرايات من أحد الأعوان فيعطيها له ويقدمها إلى سعد)

(ستار)

المشهد الثالث

الزحف إلى العدو

(في نفس المكان السابق أو قريب منه، الجنود في فوضى الاستعداد للسفر وتوديع الأقارب، مختلطين بالنساء والصبيان إلى أن يأتي القائد العام فيعطي الرايات للضباط، وينحاز النساء والأطفال جانبا، ويبدأ تنظيم الجند بواسطة قادتهم..)

سعد :

- أيها القادة تعالوا إلي... يقبلون عليه.. هذه راياتكم أفرقها عليكم، وهي شعاركم وفخاركم ما حافظتم عليها، وهي كذلك ذلُّكم وصغاركم إن لم تحافظوا عليها، فاحذروا أن تسقط من أيديكم، فتسقط قيمتكم، واحذروا أن يأخذها منكم أعداؤكم فيأخذوا بها النصر، ويأخذوكم بعدها بالقهر، إياكم ثم إياكم.

القادة :

- نفديها المهج والأرواح..فداؤها نفوسنا...

(ويستمر سعد في كلامه)

سعد :

- ترى هل يكون فيكم مثل جعفر بن أبي طالب؟ قطعت يمينه لتسقط منها الراية فتناولها بيساره، وتقدم حتى قطعت يساره، فاحتضنها بذراعيه المقطوعتين، وتقدم حتى لقي مصرعه، ولم تسقط الراية حتى سقط هو قبلها وفاز بالشهادة إلى الجنة، رحم الله جعفر ورضي عنه، فقد خلَّدها سنة حسنة أرجو أن يكون فيكم من يستنُّ بها في الصبر والثبات على المكاره.

القادة :

- سنكون عند حسن ظنك إن شاء الله.. سترى فينا ما يسرك بحول الله.

سعد :

- اذهبوا فنظموا جندكم، واستعدوا للسير.

(يتفرق القادة بألويتهم يجمعون جموعهم وينظمون فرقهم صفوفا)

- بينما يبقى النساء المودعات منحازات مع أطفالهن جانبا في المسرح ينتظرون السير).

أحد القادة : (رافعا يده بالراية في وقفة تهيُّوء بالجانب الأيمن الأمامي للمسرح):

- فرقة الصاعقة: خلفي ثلاثة ثلاثة هلمُّوا

(يركضون حتى يقفوا خلفه في اتجاه النظارة صفوفا منتظمة).

قائد آخر: (كالأول)

- فرقة العاصفة، سراعا ورائي رباع رباع تعالوا يقفون جنب الأولين صفوفا في اتجاه النظارة)

قائد ثالث: (كذلك)

- أيها النسور تعالوا إليَّ مثنى مثنى في عجل، تعالوا (يقفون جنبهم صفوفا كالآخرين).

قائد رابع: (أيضا)

- طائفة النمور هلم خلفي ثلاثة ثلاثة (يقفون جنبهم صفوفا كالآخرين).

(وهكذا يقف الجند صفوفا خلف قادتهم في اتجاه الجمهور) (يتقدم سعد والخليفة (أو نائبه) يستعرضان الجيش في مقدمة المسرح بينما النساء المودعات منحازات في الخلف أو في الجانب الأيسر)

سعد:

- هل من وصية توصي بها الغزاة يا أمير المؤمنين قبل الزحف؟

عمر: (يصعد على أي شيء ليشرف عليهم)

- باسم الله وعلى بركة الله امضوا بتأييد الله، وما النصر

إلا من عند الله، وبلزوم الحق والصبر، تنالون الأجر والنصر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولاتجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند المقدرة، ولا تُسرفوا عند الظهور، ولاتقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقُّوا قتلهم إذا التقي الجمعان، وعند حمّةِ النهضات، وفي شنِّ الغارات، ولا تغلوا عند الغنائم ونزِّهوا الجهاد عن عرض الدنيا، وأبشروا بالرباح بالبيع الذي بايعتم.

سعد :

- الجميع: نشيد الزحف إلى العدو، أنشدوا :

الجند : (يسيرون سيرا محليا بحيث يسمع وقع أقدامهم من غير أن يفارقوا أماكنهم وينشدون على وقع أرجلهم):

هيا بنا هيا ❖❖ هيا إلى الفرس

نشويهم شيا ❖❖ أو نمس في الرمس

❖❖❖

هيا جنود الله ❖❖ هيا بني العرب

نعلي لواء الله ❖❖ في الموقف الصعب

سيروا بنا سيروا ❖❖ يا عرب للعجم

طيروا بنا طيروا ❖❖ للغنم و الغرم

❖❖❖

حثُّوا السُّرى في الليل ❖ كي نربح الوقتـا
أعداؤنـا كالسـيـل ❖ فاستعذبوا المو تـا
يا موطـن الـعـريـان ❖ يا بهجـة النفـس
مهد الصـبـا الـريـان ❖ نفسي الفدا نفسي

النساء : (يتقدمن إلى الجانب الأيسر للمسرح وينشدن بينما يبقى الجنود في أماكنهم).

نحـن بنـات طـارق ❖ نمشي على النمـارق
مشي القطي البـارق ❖ المسك في المفـارق
والدر في المخـانـق ❖ إن تقبلـوا نعانـق
أو تدبـروا نـفـارق ❖ فراق غيـر وامـق
عرس المولّي طـالـق ❖ والعار فيه لاحـق[1]

(ويعود النشيد وهن منصرفات من المسرح ويصافح سعد عمر ويودعه ثم يأمر الجيش بالمسير وعمر واقف يستعرض الفرق وهي تسير واحدة بعد أخرى تدور في المسرح إلى أن ينتهي الحادي من حدائه):

سعد :

- إلى الأمام سر، واحد اثنين، واحد اثنين (ويسير في المقدمة ويسمع صوت رخيم من وراء ستار يحدو الجند ويستحثهم بينما الجيش

1- الشعر لكرمة بنت ضلع أم مالك بن زيد فارس بكر، كانت تهيج به الرجال في الحرب أيام الجاهلية.

يمشي بنظام، ولا يسمع إلا صوت الحادي ووقع أقدام الجند السائر في المسرح).

الحادي: (يسمع صوته ولا يرى شخصه).

على آثارنا بيض حسان ❖ نحاذر إن تقسم أو تهونا
أخذن على بعولتهن عهدا ❖ إذا لاقوا كتائب معلمينا
ليسلُبن أفراسا وبيضا ❖ وأسرى في الحديد مقرنينا
إذا ما رحن يمشين الهوينى ❖ كما اهتزت متون الشاربينا
يقتن جيادنا ويقلن لستم ❖ بعولتنا إذا لم تمنعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا ❖ لشيء بعد هن ولا حيينا[1]

(ستار)

1. من معلقة عمر بن كلثوم.

المشهد الرابع

من أنباء الواجهة (عمر بن الخطاب مع جماعة من أصحابه وأهل مشورته في المدينة، يتذاكرون في سير الحرب بالعراق والشام، ويتلقون أخبار الواجهتين)

عمر:

- إن أمر المسلمين في العراق يقلقني، فقد أبدلت المثنَّى بأبي عبيدة بن الجراح وبعد واقعة الجسر التي هزم فيها المسلمون شر هزيمة، أبدلت ابن الجراح بسعد بن أبي وقاص أحد كبار القادة المشهود لهم بالحنكة ليواصل الحرب ضد الفرس الذين تكاثر عددهم فبلغ ثلاثين ألفا بقيادة رستم أكبر قائد لهم، في حين لم يزد جندنا عن ثمانية آلاف، وسأمدُّه بكل ما يمكن من الخيل والمقاتلة المتطوعين، وقد كتبت إلى عمالنا في الأقاليم ألا يدعو بطلا ولا فارسا أو فرسا، ولا شاعرا أوخطيبا إلا أرسلوه مددا له، فقد بلغني أن قابوس جاء بنفسه إلى بلاد العرب المجاورة له، وأخذ يطوف ببطون بكر بن وائل يوزع عليهم الذهب ويمنيهم إذا انضموا إليه ليحاربوا

المسلمين في صفوف الفرس، وإني لأتوسم في سعد السعادة والنصر إن شاء الله.

ابن عوف :

- يا أمير المؤمنين بعض الناس يقول: كيف نحارب كسرى وقيصر في وقت واحد؟ وهما من هما قوة وكثرة في العدد والعدة؟!

عمر :

- هذا كلام يدعو إلى الفتنة وينشر الوهن والبلبلة في صفوف الضعاف فاحذروه، ألا تعلمون أن الله أكبر من كسرى وقيصر، ويحكم أفتظنون أنهم تاركونا لو تركناهم؟! إن هذا الدين ليس للعرب وحدهم بل هو للناس كافة، وإن الملوك ليخافون من هذا الدين أن يثل عروشهم ويسقط تيجانهم ويحرر عبيدهم ويمزق وحدتهم، فلن يقر لهم قرار حتى يقضوا عليه.

علي :

- إن الله أرسل رسوله من بلاد العرب لحكمة أرادها، لو شاء لبعثه من بلاد الفرس أوالروم عند مساقط الأمطار، ومجاري الأنهار، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وقد شرفنا الله بحمل هذا الدين وتبليغه للناس ووعدنا النصر والظفر إن نحن آمنا وصبرنا في البلاء، فالله مظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون، والله مورث أهل هذا الدين مواريث الأمم.

الحاجب:

- رسول من الشام يستأذن في الدخول يا أمير المؤمنين.

عمر:

- أدخله يا حاجب لعله يحمل إلينا خبرا سارا.

الرسول:

- أبشروا فقد منَّ الله على المسلمين بنصر مؤزر في اليرموك بالشام، وهذا كتاب خالد بن الوليد إليكم.

الجماعة:

- الحمد لله- الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، حمدا لله الذي نصرنا على الروم.

عمر: (يفتح المكتوب ويقرأ بسرعة)

لا حول ولا قوة إلا بالله! ثلاثة آلاف من المسلمين يقتلون في معركة واحدة هذا كثير والله!

الرسول:

- لكنا قتلنا من العدوِّ مائة ألف وأربعين ألفا وربما أكثر من ذلك في الواقع.

عمر:

- لا حول ولا قوة إلا بالله! لو أسلموا أو صالحوا لكان خيرا

لنا ولهم، هذا عدد كبير، هذا إسراف في القتل أعرفه في خالد عفا الله عنه!

عثمان :

- المهم هو انتصار جيشنا على الروم، اللهم لك الحمد والشكر على هذا النصر المبين.

الرسول :

- قادتنا في الشام يتوقعون أنه لن تقوم للروم قائمة بعد هزيمتهم النكراء في اليرموك على كثرة عددهم وقلة عددنا.

- وما النصر إلا من عند الله، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

المؤذن : (يسمع صوت الآذان) :

- الله أكبر الله أكبر..

أشهد أن لا إله إلا الله... الخ

عمر :

- أريدك أيها الرسول أن تقدم بعد الصلاة وتعرف الناس بتفاصيل نصر الله لنا في الشام ليطمئنوا ويستبشروا.

الرسول :

- سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين.

عمر :

- نتهيأ لأداء الصلاة ثم نعود لاجتماعنا.

الحاجب :

- مهلا يا أمير المؤمنين هذا بشير القادسية قدم الساعة من العراق.

عمر : أدخله ...(يدخل)

أهلا بك يا بشير الفتح ما اسمك؟

البشير :

- سعد بن عميلة الفزاري يا أمير المؤمنين، هذا كتاب سعد بن أبي وقاص إليك.

عمر : (يتناول الكتاب ويقرأ بصوت عال)

- بسم الله الرحمن الرحيم من سعد بن أبي وقاص في العراق إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالمدينة.

أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس بالقادسية بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد قابلنا الفرس بقوة لم ير الرّاؤون مثلها ، ولم تنفعهم كثرة عددهم ولا قوة عددهم، وفروا هاربين تاركين وراءهم مغانم كثيرة لا تقدر، وتابعناهم على الأنهار وعلى الأكام والأجام وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين عمرو بن أم مكتوم،

وسعد بن عبيد القاري، ورجال كثيرون معروفون، ورجال لا نعلمهم الله يعلمهم، أما قتلى العدو فكثيرون جدا لم نحص عددهم بعد، وفي مراسلة ثانية سأعطيكم تفاصيل وافية عما جرى وعما خسرنا وما كسبنا. والسلام عليكم ورحمة الله.

عمر والجماعة:

- الحمد لله والشكر لله، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر هزم كسرى وقيصر، ولك الحمد يا رب.

عمر:

- وأنت يا أخا فزارة يا من حملت لنا البشارة، هل تستطيع أن تصف للمسلمين ما وقع في القادسية بعد الصلاة؟

البشير:

- نعم يا أمير المؤمنين (يخرج الجماعة لأداء الصلاة).

(ستار)

المشهد الخامس

رجوع الجند منتصرين من القادسية...

(نسوة وصبيان وشيوخ خارج المدينة في فلاة ينتظرون رجوع ذويهم، والمجاهدون يمرون بهم زرافات ووحدانا، بعضهم يتضالعون وبعض آخر معصبوا الرؤوس والأطراف، يحييهم النساء والصبيان والشيوخ، مكبرين هاتفين بحياة الإسلام والأمة العربية، ويسير من حين إلى آخر بعض النساء والأطفال مع ذوي قرباهم من المجاهدين إلى منازلهم معانقين جذلين يتحادثون عن النصر والحرب..).

وتبقى الخنساء في جانب المسرح واقفة متكئة على حائط أو كهف أو شجرة متوكئة على عصاها، تنتظر مقدم أولادها... وفي بعض فترات انقطاع الجند، تحدث نفسها حديثا مسموعا للنظارة، عن تخلف أبنائها."

المستقبلون:

- الله أكبر.. الله أكبر على من طغى وتجبر..
- بخ... بخ لأبطالنا... ورحمة لشهدائنا...

- عاش الإسلام منتصرا... يحي العرب الأمجاد.
- لتعلُ راية الإسلام خفاقة في كل مكان...

الخنساء : (تخاطب نفسها في فترة من فترات انقطاع الجند)

- ترى أين أبنائي؟...
- ما لأبنائي تخلفوا؟ ترى ما بالهم؟

(وتتسمع وقع أقدام فتتحسس) .

- لعل القادم أحدهم، أوخبير بأمرهم (ويمر بها جندي وهو يتأملها... ثم يمضي ويتركها..)

- رباه ما لهم لم يعد منهم أحدا!؟.

...لعل أحدهم أصيب بجراح فلم يقو على المشي فتخلفوا لمساعدته، وكرهوا أن يأتوا بدونه.

(وتمر طائفة من الجند . . ثم أخرى . . . والخنساء واقفة ويكاد لايبقى أحد من المستقبلين والعائدين . . . ثم يأتي جريح متثاقلا يتضالع متحاملا على إحدى رجليه وعلى عصا بيديه ، يمر بها فيعرفها ، ويعود فيدنو منها وهو متردد هل يكلمها أم لا؟ .

. . . ثم يمر ويتركها . . .ثم يعود مترددا ويكلمها . . .)

الجندي :

- اللّه... هذه الخنساء؟ ماوقوفك هنا يا خالة؟. وفيمن تنتظرين؟. ولم يبق أحد بعدي.

الخنساء :

- أنا في انتظار أبنائي... أما رأيتهم؟.

الجندي :

- بلى... ولكن...

الخنساء :

- ولكن ماذا؟.

الجندي :

- لا أخالك تجزعين يا أماه إذا قلت لك أن أبنائك جميعا قد ساروا... إلى ... (ويسكت).

الخنساء :

- إلى أين؟ أفصح إلى أين؟ إلى أين يا بني؟ أفدني بربك أين ذهبوا؟.

الجندي : (وهو يغالب نفسه)

- إلى الـ...جنة ...إلى الجنة - واللّه- يا أماه، نعم ذهبوا إلى الجنة.

الخنساء :

- ويحك ماذا تقول؟ أتعني أنهم ماتوا جميعا؟.

الجندي :

- نعم... نعم استشهدوا... يا خالة، إنهم الليلة جميعا مع شباب أهل الجنة يسرحون ويمرحون بين الحور والولدان، فهنيئا لك ولهم الشهادة، وصبرا جميلا لقضاء اللّٰه، يا خالتاه.

الخنساء : (متفجعة متشجعة)

- وهل قتلوا من غير أن يقتلوا؟ هل ذهبوا متاعا رخيصا من غير عوض؟!.

الجندي :

- لا.. لا - واللّٰه- لقد كانوا وحدهم جيشا، شاهدتهم بنفسي في مضيق صعب، عزم الأعداء على أخذه بكل ثمن، كأنما رأوا فيه خلاصهم أن أحرزوا عليه، وهلاكهم إن فرطوا فيه فتكاثروا فيه، وتهافتوا عليه كالجراد على النار، وصمد المسلمون وخاصة أبناؤك الأربعة، يذودونهم عنه ويقتلون منهم ما شاء اللّٰه، ولاقوا في ذلك بلاء شديدا، وكلما فترت عزيمة أحد أبنائك صاح به آخر قائلا وصية العجوز يا أخي تقدَّم ولاتجبن، هنا يلقى المسلم ربَّه راضيا مرضيا وللآخرة خير وأبقى، فيقدم حتى يلقى مصرعه،

وهكـذا تعرضـوا للاسـتشهاد واحـدا بعـد واحـد ، وهـم يرتجلـون الشعر، وينشدون الأراجيز[1] ، فيزدادون حماسا وبسالة ، ويستعذبون الموت في سبيل الله، كأنما قد تعاهدوا على ذلك من قبل، ويا سبحان الله ما كان أروعهم من أبطال، وأشجعهم من رجال، فلله درهم وهنيئا لك ولنا بهم، وبسببهم نصرنا الله على الفرس الجبارين بحفاظهم على ذلك المكان الخطر، فالحمد لله على كل حال، والفضل لأبنائك وجهادهم وصبرهم وثباتهم.

الخنساء :

- الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله، وعزائي فيهم هذا النصر المبين، الذي أحرزوا عليه للإسلام والمسلمين، وإني لأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

الجندي :

- آمين آمين يا رب العالمين.

(وتنصرف العجوز- وقد ملكت جأشها بلا بكاء أو نحيب- عائدة إلى منزلها ، والجندي من خلفها يتأملها حتى تبعد عنه وتتوارى، ويبقى هو وحده في المسرح، فيصيح جذلا مسرورا):

---

1. في آخر الكتاب مثال من ذلك..

الجندي :

- الله أكبر.. الله أكبر، هذه إحدى العبر، والله الذي لا أجلَّ من اسمه، لو كانت نساؤنا جميعا كهذه، وأبناؤنا كأبنائها لما غلبنا أحد، ولملكنا السماء والأرض... ويرفع يديه إلى السماء...اللهم إيمانا كإيمان الخنساء وصبرا كصبرها وثباتا وجهادا كثبات وجهاد أبنائها[1].

(انتهى)

(الستار)

---

1. جاء في الاستيعاب لابن عبد البر: أن عمر بن الخطاب (رض) كان يعطي الخنساء أرزاق أبنائها الأربعة لكل واحد منهم مائتي درهم حتى قبض رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

الخــــتـــام

كان أبناء الخنساء يرتجلون الشعر وينشدون الأراجيز ليزدادوا حماسا وبسالة، وكانوا معا كتلة واحدة في مضيق استراتيجي من مكان المعركة حاول العدو استرجاعه ولكن ثبات هؤلاء الأخوة ومن معهم من المجاهدين كان السبب في النصر. وكان كل واحد من أبناء الخنساء ينشد رجزا قبل أن يستشهد حتى ماتوا جميعا رحمهم الله وأرضاهم بالنعيم المقيم في جنة النعيم.

فأنشد الأول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة
قد نصحتنا إذا دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة
فباركوا الحرب الضروس والكالحة
وإنما تفقون عند الصائحة
من إلى ساسان الكلمات النابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة
وأنتم بين حياة صالحة
أوميتة تورث عنما رابحة

وأنشد الثاني :

إن العجوز ذات حزم وجلد

والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد

نصيحة منها وبرا بالمولى

فباركوا الحرب حماة في العدد

إما لفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم عز الأبد

في جنة الفردوس والعيش الرغد

وأنشد الثالث :

والله لا نعصي العجوز حرفا

قد أمرتنا حربا و عطفا

نصحا وبرا صادقا ولطفا

فبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا أل كسرى لفا

أويكشفوكم عن حماكم كشفا

أنا نرى التقصيرمنكم ضعفا

والقتل فيكم نجدة وزلفى

وأنشد الرابع :

لســـت لـخـنـســـاء ولا لأخـــرم

ولا لـعــمــرو ذي الــســنـــة الأقـــدم

إن أرد فـــي الجيش جيش الأعـجـم

ماض على الـهولـى خضـم خضــرم

إمـا لـفــوز عـــاجــل مـعـــنــــم

أولـــوفـــاة فـــي السبيـــل الأكـــرم

انتهى من مجلة (الشهاب) لابن باديس

الجزء الثاني من المجلد الخامس

بتاريخ غرة شوال 1347هـ وشهر مارس 1929